أبيض وأسود ...

قصة بقلم
أحمد محمود زين الدين

(الابيض)

... ماذا سيقولون ؟ حتما ! سيجعلونني سخرية يتلهون بها . لكن المئة والخمسين ليرة .. أتقوم بأود العجوزين والاخوة الثلاثة ؟ وهو !.. هو .. هل سيعرفني ؟

أووف !.. أحس بضبابية كثيفة في نفسه .. وأحس بثقلها بالرغم من رحابة المكان .. أتجو خانق .. والاعصاب مشدودة . تراءت له وجوه الرفاق وهي تنظر اليه شزرا . تلعنه .. تلعن تردده . تنعي اليه جرأته وصلابته المعروفة . ستكثر التعليقات حوله واللغط . سيقولون : باع نفسه وعقيدته وباع كرامته لشياطين المال . يا للثمن البخس !..

تقدم بخطوات وئيدة . أصلح ياقته .. السترة تحتاج للتنظيف ، فبعض البقع بدأت تظهر عليها . يجب ان يكون ذا لياقة . هل سيتذكرني (س) ؟ السيارة الفارهة التي كان يفد بها الى الثانوية ما زلت اتذكر حتى لونها الاحمر الجميل ! وما زالت صوره تظهر في الصحيفة التي يترأس تحريرها من وقت لآخر وما زال كمهدي به متين البنيان ، شامخ الانف ، أنيق المظهر . يبدو لي ان هذه الطبقة لا يشيخ أشخاصها . ثماني سنوات مضت لم يشاهدني فيها . أربعة أعوام منها في (اكسفورد) .

... أيها الصحافي البارع !.. شيء مضحك حقا . كيف سأواجه الآخرين ؟.. وماذا أفعل اذا فشلت ؟

ـ ما هي معلوماتك الصحفية ؟

حتما سيسألني هذا السؤال . هذا اذا تذكرني !

ـ كل شيء عن ماركس ولينين وغيفارا .. وعن التنظيم الحزبي، وعلاقة الحزب بالجماهير ، وعن الممارسة والنظرية .. وعن .. وعن..

ـ يكفي يا سيد ...؟ بصراحة لسنا بحاجة الى مثل هذه المعلومات. صحيفتنا تناهض هذا التيار يا سيد ...؟ نحن لنا رؤيتنا الخاصة بالاوضاع والمشكلات المطروحة . لا بد انك قد قرأت الصحيفة يا ... هذا عدا انك غير متخصص في فن الصحافة .. فالصحافة فن وعلم . لقد قضيت أنا مثلا أربع سنوات في جامعة (اكسفورد) أتخصص في هذا المجال على أيدي كبار علماء الاجتماع والصحافة الانكليز ... لا تكفي ثقافتك الـ ... أيها السيد ..؟ لممارسة هذه المهنة المعقدة والشاقة .. انني آسف !

... تضوعت في الجو رائحة عطرية .. أوه ! هذا القوام المشيق! أيتها الآنسة ..!

الحقيقة .. يجب أن أعود .. الى الطلبة الصغار .. هذا أفضل من اراقة ماء الوجه امامه .

مئة وخمسون ؟ لا بد أن تتغير الاحوال والظروف بالرغم من الحالة المتوترة ! يجب ان نكون اكثر ثقة بأنفسنا في هذا الظرف العصيب .. فالسلطة تحاصر الفدائيين في الجنوب . وجبهة الاحزاب التقدمية تدعو لتظاهرة استنكار كبيرة في بيروت . أليس من المضحك أن أكون أنا الآن في دار هذه الصحيفة ؟ وفي هذا الوقت بالذات ؟

أحس بلزوجة الشمس المتسربة من نوافذ الدار اتواسعة .. وتدفق في عينيه نهر الحزن الاسود .

ـ يا أستاذ (س) باستطاعتي أن أكتب في صحيفتك عن غير السياسة .. عن الادب .. الفن مثلا . لكن ! الحقيقة ان زيارتي لك زيارة صداقة ومودة ليس الا . لقد مضى زمن لم أرك فيه .

ـ أيها السيد . ماذا تريد ؟

رن صوتها النحاسي في أذني . عيناها الزرقاوان غابة كثيفة ودافئة .

ـ (آه . ماذا سأقول ؟) .. انني أطلب السيد .. آه عفوا .. (يا للحيرة ! كيف وصلت الى هنا دون ان انتبه ؟) . أريد مقابلة السيد .. (م) .. نعم (م) .. أيوجد هنا شخص بهذا الاسم ؟

ـ لا يوجد هنا شخص بهذا الاسم ! لا بد انك مخطىء . آسفة .

دار على عقبيه . لمح صدرها الناهد ... وخرج .

أحس بأنفاس الطريق الحارة . الشمس بدأت تجنح نحو المغيب.. كان عليّ أن لا احضر الى هنا .. يا للعار ! غرفة الصف أفضل من زيف الكلمات وعهرها ..كيف خدعت نفسي ..وجازف عليّ الخدعة.. لا بد انها لحظة ضعف .. عدم ثقة . لا بد أن احتفظ بما بقي فيّ من صلابة .

السابلة يزرعون الطريق في مثل هذه الساعة . لا بد ان يكون (س) الان في مكتبه يدبج مقالة ينفث من خلالها سمومه على الحركة الوطنية ويضع عصارة الافكار التي تعلمها من جهابذة الانكليز . كم كان من الهراء والجنون ان اكتب في تلك الصحيفة الصفراء .

... لقد أزفت ساعة التجمع عند منطقة الحرج . ولا بد ان الرفاق والمواطنين قد بدأوا بالتجمع بغية الانطلاق في شوارع العاصمة استنكارا لحصار الفدائيين .

أن أقف مع الرفاق .. أتحرك معهم .. أهتف .. أنادي بما آمنت. فهذا طبيعي . لكن ! ان ابيع نفسي عبدا ، نخاسيا للضمائر السود مقابل حفنة اكثر من المال فهو في نطاق اللامعقول .

ـ عفوا أيها الرفاق . انني لم أتخلف عن الموعد المضروب . وسأكون كما عهدتموني .. ولكن ما لهذا الحشد الهائل !

بدأت القبعات الحديدية تظهر . وبالقرب منها ارتفعت البنادق . وبدأ حاجز من الشرطة يضرب حول الجمع . تململت الكتلة البشرية الهائلة وتحركت ببطء الى الامام كجسم واحد . ومعه بدأ حاجز البنادق والقبعات الحديدية يتسع ... ثم يضيق ...

(الاسود)

في مكتب الصحيفة كان (س) يجلس على كرسيه المتحرك امام طاولة مرتفعة ومنبسطة امامه . وقد تكدست عليها الاوراق والتقارير الصحفية . الليل بدأ يزحف على الغرفة فتضاء الانوار . الاخبار قديمة ومكررة . ربما لن تحمل وكالات الانباء العالمية شيئا يذكر هذا اليوم .

.. اما السهرة بالامس فقد كانت ممتعة للغاية . لم اتصور انها بهذا الجمال الخلاب . لكنها مانعت ! أيتها الشقية ! انك قطة برية غير مروضة ! في حفلة اخرى سألقاك .. لا بد ان هذا اليوم قريب . لتغضب (ل) ! لقد مللتها .. مللتها .. نحن الارستقراطيين نسأم بسرعة .. ان كل ايامي ... رن الهاتف : (ربما هي وراء الخط الآخر. لا بد ان تعتذر مني .. سأقبل حتما عذرها) . بئس الامر . النبرة رجولية !

ـ آلو ...

ـ ...

ـ لقد كان هذا طبيعيا ومعروفا . هؤلاء الناس مندفعون كثيرا . غدا ستتحول صحفهم الى أوراق تعاز . وسيتحول كل جريح فيهم الى شهيد الواجب والوطنية . وكل متظاهر الى مناضل ثوري . انا ادرى بايديولوجية هؤلاء وأساليبهم !

ـ ...

بعد قليل ...

قلب الصور بين يديه . هذه صور بداية التجمع .. هذه الرؤوس الكثيرة لا تحصى .. الحراب في بنادق الشرطة .. بداية الاصطدام.. أحد رجال الشرطة يضرب أحد المتظاهرين بعقب بندقيته على أم رأسه. (يجب عدم طبع هذه الصورة في الصحيفة) .. هذه صورة اخرى اختلط الحابل فيها بالنابل .. فقط رؤوس متداخلة .. انها نقطة الالتحام .. أخيرا : الصور المنفردة للقتلى : .. هذه الصورة !.. لا يتجاوز صاحبها العشرين .. وأخرى !؟ هذه الملامح قد شاهدتها منذ زمن .. في حفلة ؟ أمسية ؟.. ولكن لا يعقل : انه ليس من اصحابي ، فهم لا يندفعون في هذه الثلج الحمراء .. أين اذن ؟ في اكسفورد ؟.. في ؟.. في ؟.. لا يعقل . أين اذن ؟.. الصورة جد بعيدة .. بعيدة حتى اللانهاية ... آووف .. شيء مرهق ! لقد زاغ بصري من كثرة التأمل !

رفع سماعة الهاتف :

ـ آلو .. آلو .. (لن أحصل على قطتي المتوحشة)

ـ ....

(ل) ؟ .. حبيبتي .. انني في انتظارك في شقتي هذا المساء .. انني في غاية الشوق . لا تتأخري .

أقفل السماعة .. ومضى يقلب بين يديه بقية الصور التي ستنشر غدا . على حين رمى صورة الشاب جانبا بين أكداس الورق والتقارير الصحفية .

احمد محمود زين الدين

النشاط الجنسي وصراع الطبقات

تأليف رايموت رايش — ترجمة محمد عيتاني

« هذا الكتاب العلمي يقدم خدمة جليلة الى القراء العرب الذين يبحثون عن اسهام في حلول صحيحة لمشاكلهم على اسس منهجية سليمة ، وبصرف النظر عن المحرمات الغيبية التي لم يعد لها من مكان في هذا العصر .. فهو يدرس ، على اساس علمي واحصائي ، نظري وتجريبي ، مسائل الحياة الجنسية ومشاكلها في مجتمعين اساسيين من المجتمعات الرأسمالية المتطورة : جمهورية المانيا الاتحادية والولايات المتحدة الاميركية. حيث يحدث التطور ـ ليس نحو الافضل ـ لاوضاع الحياة والعلاقات الجنسية تحت نير الاستثمار الرأسمالي الاحتكاري، والشروط الاقتصادية والنفسية ، الضروري توفرها مسبقا ، للنضال ضد القمع الحقيقي الذي تعانيه الطبقات الشعبية في اوضاعها الاقتصادية والمعاشية ، وبالتالي ، الجنسية .

ويضع المؤلف يده على العلل الرئيسية التي تطبع مشاكل هذه المجتمعات الراسمالية في ميدان الجنس والصراع الطبقي ، وهي ادماج كل الحياة الجنسية لجميع فئات الامة داخل النظام الاحتكاري القائم ، ومسخ الحياة الجنسية وجعلها مجرد سلعة ، واعطاؤها وظيفة غرض استهلاكي ، وحرمان الجسد البشري ـ معجزة الطبيعة الرائعة ـ من مزاياه الجنسية والوجدانية ، وصرف الغرائز الجنسية نحو نزعة عدوانية موجهة .. وليس هذا كله سوى الشكل الراهن للاستثمار الراسمالي .. ولذلك فان مسالة « الاستراتيجية الجنسية » لن تجد مكانها الا في المجمل المتلاحم من النضال السياسي المضاد للراسمالية ، دفاعيا وهجوميا ..

وقد اعتمد المؤلف على منهجين قد يبدوان متناقضين : هما المنهج الماركسي والطريقة الفرويدية (علم التحليل النفسي) ليؤكد قانونا اساسيا له صفة الشمولية، ويمكن ان نفد من تطبيقه في سائر المجتمعات النامية ، بما فيها مجتمعنا العربي، وهو « قانون التكييف الرأسمالي التفضيلي لمظاهر وممارسات العلاقات والحياة الجنسية لخدمة المجتمع الراسمالي ، مجتمع الاستثمار والاضطهاد لجماهير المنتجين »

صدر حديثا

٦٠٠ ق . ل .